

1685 - الأساس: الكتاب الأول: الافتراضات الأساسية (66)



الإدراك (27)

السماح بغير الفهم ينشط الإدراك
قراءة في لعبة تجرّبتى العلاج الجمعى:

ياخبر!! ده أنا لما ما بافهمشى يمكن... (نشرة 3-4-2012)

يا خبر!! دا انا لو ما فهمتش يمكن (نشرة 4-4-2012)

مقدمة:

فى محاولة عاجلة لقراءة معنى التجربة (التجربتين) سوف أكتفى بالتعليق الشامل على ما يمكن الخروج به من هذه الممارسة البسيطة الواقعية التى تمثل جزءاً يسيراً جداً (ليس أكثر من 10% على حد تقديرى) مما يجرى فى العلاج الجمعى كمثال.

مراجعة:

وأنا أعد نشرة اليوم لاحظت فرقا - لم أتبينه من قبل - بين اللعبتين فى لفظين: ففى التجربة الأولى كانت العبارة "ياخبر!! ده أنا لما ما بافهمشى يمكن...", أما فى التجربة الثانية: فكانت "يا خبر!! دا انا لو ما فهمتش يمكن", لاحظت هذا الفرق بين "لما ما بافهمش"، وبين "لو ما فهمتش" فشعرت أن جمع هذه الاستجابات إلى تلك قد لا يجوز، حيث أن تعبير "ما بافهمشى" يحرك عدم الفهم كاحتمال وارد فى أى وقت، استجابة لأى مثير أو معلومة أو علامة، فى حين أن تعبير "أنا لو ما فهمتش" قد يوجه المشارك إلى موضوع حالى حول مسألة أو تفاعل مطروح فى المجموعة فى الجلسة المعنية أو فى غيرها.

وقبل الانتقال إلى الانطباعات العامة أود أن أوجز بعض الخطوط العريضة التى أردت أن أوصلها من خلال هذه المغامرة:
أولاً: إن العلاج عامة والعلاج الجمعى خاصة (على الأقل كما نمارسه فى قصر العبنى أساساً) هو مجال بحث شديد التميز.

إن النتائج التى
تخرج من التجارب
فك هذه
الممارسات لا تقتصر
على توضيح آلية
العلاج النفسى
كأحد وسائل العلاج
بل تمتد إلى
التكامل والتبادل
مع أساسيات
العلاجات الأخرى
من مدخل منظور
النمو

تلقائية المرضى
والمعالجين، وابتداع
التجارب مباشرة
تمثل منهاجاً مستقلاً،
ربما يكون مكملاً
للمناهج الأخرى

ثانيا: إن النتائج التي تخرج من التجارب في هذه الممارسات لا تقتصر على توضيح آلية العلاج النفسى كأحد وسائل العلاج بل تمتد إلى التكامل والتبادل مع أساسيات العلاجات الأخرى من مدخل منظورالنمو على أساس التطور البيولوجى الفردى الممثل للتطور البيولوجى التاريخى.

ثالثا: إن تلقائية المرضى والمعالجين، وابتداع التجارب مباشرة تمثل منهاجا مستقلا، ربما يكون مكملا للمناهج الأخرى، ولا مانع أن يكون معارضا لها.

رابعا: إن تفسير جزئيات النتائج هو مجرد إشارة إلى مغزى النتائج وحتى الآن لم أجد المنهج الشامل الذى يستطيع أن يستوعب ولو جلسة واحدة بتفسير يقترب من التفسيرات الحاسمة والمختزلة التى اعتدناها ونحن نقرأ عن علاجات أخرى.

خامسا: إن المرضى (والمعالجين) يستطيعون أن يقتحموا مسائل جوهرية وفلسفية بلغة عامة وبسيطة دون أن تسمى كذلك (أن تسمى جوهرية وفلسفية).

سادسا: إن ما يخرج من التجريب أو بتعبير أدق مناقشة الخبرة من المرضى والمعالجين يمكن تقييمه أو على الأقل الاستفادة منهم، فى فهم التركيب البشرى للأسوياء (أو بتعبير أدق لغير المرضى!!).

سابعا: إن عدم الفهم الذى ظهر فى التجربة هو قريب تماما من المفهوم الفينومينولوجى الذى لن أنطرق الآن إلى تفصيله مكتفيا بالإشارة إلى مصطلحين هما "تأجيل الحكم" وايضا "الوضع بين قوسين"، وكذلك إن عدم الفهم مرتبط أيضا بمفهوم بعض محكات النضج مثل "تحمل الغموض Tolerance of ambiguity

ثامنا: إن عدم الفهم أيضا مرتبط بالوجه الإيجابى لمرحلة تناقض ثنائية الوجدان ambivalence فى الموقف الاكتنابى لمدرسة التحليل النفسى الانجليزية (العلاقة بالموضوع) وهو ما تناولناه فى كثير من مواقع "فقه العلاقات البشرية".

تاسعا: إن جدل النمو لا يتواصل على مستوى شعورى بل هو نتيجة جدل نقائض كثيرة من بينها "جدل الفهم مع عدم الفهم"

عاشرا: إن الاختلافات الفردية فى تفسير الاستجابات (نشرة 2012/3/28) شديدة الأهمية فى متابعة مسار فرد بذاته، لكن التجليات الكلية فى الوعى الجمعى لها بعد آخر مكمل كما سنحاول فى هذه النشرة الحالية كعينة محدودة.

(وهذا هو موضوع هذه النشرة)

المجموعة الأولى:

الاستجابات الواعدة باحتمال إيجابى:

وهى تشمل الاستجابات الدالة على احتمال إيجابى من الوعى بعدم الفهم ناهيك عن السماح به، و هى الاستجابات التى أفادت بشكل أو بآخر أنه مادام عدم الفهم يقوم

وحتك الآن لم أجد
المنهج الشامل
الذى يستطيع أن
يستوعب ولو جلسة
واحدة بتفسير يقترب
من التفسيرات
الحاسمة والمختزلة
التى اعتدناها ونحن
نقرأ عن علاجات
أخرى

بوظيفة ما في التعرف على داخلنا وخارجنا، ومن ضمنها أن يظهر لنا جانبنا من جوانب نشاط الإدراك على مستوى معرفي أعمق، فإن النظر في احتمال السماح بعدم الفهم يمكن أن يظهر لنا طبيعة الفهم، (التفكير "حل المشاكل")، وأنه يمكن أن يكون تفكيراً مرناً يقوم بوظيفته وفي نفس الوقت يسمح بنشاط آليات معرفية أخرى بجواره، وبالتالي يمكنه أن يتزحزح قليلاً عن موقفه أو موقعه ليكتمل بضده أو بما شاع أنه عكسه.

نلحق بعد كل استجابة بين قوسين اسم المشارك (ة) ثم حرف (ت) الدال على التجربة الأولى أو ت2 الدال على التجربة لمن شاء أن يرجع إلى الأصل مكتملاً **(نشرة 2012-4-3)**

- ... يمكن أحافظ على نفسي (منى : ت 1) ، - ده أحسن لي (منى : ت 1) -
 (1) - أمشى أحسن (منى : ت 1) ، - أكون أجمل (منى : ت 1) - أكون
مبسوطة أكثر (منى : ت 1) ، أرتاح (أحمد : ت 1) - يبقى احسن (نصره: ت 1) ،
 (1) ، - فهمت الناس اللي حواليا (نصره: ت 1) - أبقى احسن من كده (نصره: ت 1) ،
 (1) ، - ارتاح (هالة: ت 1) - أفرح عشان اللي مستيني (يحيى : ت 1) ، -
باحس أني أقدر أتواضع أحسن من كده(يحيى:ت 1) - باحس أن أنا بنى آدم قريب
من ربنا (يحيى : ت 1) - باحس (مخاطبا نفسه) أنك لسه عايش (يحيى:ت 1) -
أبقى احسن (محمد: ت 2) ، - استريحت من كل المشاكل دي (محمد: ت 2) -
حافظت على صحتي (محمد: ت 2) ، - ربنا يستجيب لدعوتي (محمد: ت 2) -
ظروفي بقت احسن من كده (محمد: ت 2) ، - ما اكرهش حد (رضا: ت 2) -
أستريح (ياسمين: ت 2) ، - أحسن لي (دينا: ت 2) - أرتاح(دينا: ت 2) ، -
أريح دماغى (دينا: ت 2) - أبقى أسعد (دينا: ت 2) ، - أحسن (أحمد: ت 2) -
ماكنتش تعبت (أحمد: ت 2) ، - ماتعيش (أحمد: ت 2) - أحسن (أحمد: ت 2) -
 ، - ماكنش ده حالى (أحمد: ت 2) - أرتاح (أحمد: ت 2) ، - أعمل إبداع أكثر
من كده (يحيى: ت 2) ، - ربنا يستجيب دعايا أسرع يعنى انى أكمل يعنى (يحيى: ت 2)

القراءة:

نأمل هنا أن ننتبه كيف أن السماح بعدم الفهم النشط (أضفت الآن كلمة النشط) أو الاعتراف بدوره قد سمح بالتذكرة بأنها عملية إيجابية أساساً وليس مجرد "نفي الفهم" فمجموع هذه الاحتمالات في هذه المجموعة تشير بوضوح إلى أي مما يلي كأتملة لجدوى عدم الفهم:

إن عدم الفهم أيضاً مرتبط بالوجه الإيجابي لمرحلة تناقض ثنائية الوجدان ambivalence فك الموقف الأكثاب لمدرسة التحليل النفسى الأبخيزية (العلاقة بالموضوع)

إن جعل النمو لا يتواصل على مستوى شعورك بل هو نتيجة جعل نقائص كثيرة من بينها "جعل الفهم مع عدم الفهم

أولاً: كشفت على أن عدم الفهم هو عملية إيجابية جارية
 ثانياً: أننا يمكن أن نرصدها بأمانة عن طريق هذه التلقائية السلسلة
 ثالثاً: أنها تجرى في نفس الوقت سواء رصدناها بوعينا الظاهر أم لا
 رابعاً: أنها يمكن أن تكون مكتملة لما نسميه الفهم
 خامساً: أنها يمكن أن تحتل مساحة أكبر في نشاط ما نسميه الإدراك

المجموعة الثانية:

الاستجابات الحذرة من "عدم الفهم" ومضاعفاته:

وهي المجموعة التي ظهر فيها الخوف الشديد من آثار التخلي عن الفهم دون يقين
 باحتمال تنشيط معرفي بديل أو مواز أو مكمل، وبالتالي فقد بدا الفهم في هذه المجموعة
 أقرب إلى آلية دفاعية (ميكانزم) كما ذكرنا، ونجمها متجاوزة فيما يلي:
 ... يمكن أتعب (أحمد: ت1) - كل حاجة تبوظ (أحمد: ت1) - كنت
 أتجننت (نصره: ت1) أنهار وأتعب (هالة: ت1) - ما عرفش أعالجك (يحيى: ت
 2) - اتعب شوية (هالة: ت1) ، - أترعب من المشوار الطويل (يحيى: ت1) -
 ما احسش بيك (محمد نشأت: ت2) ، - ابعده بعيد قوى (محمد نشأت: ت2) - ما
 اعرفش اتعلم منك حاجه (محمد نشأت: ت2) ، - اللي انا عملته راح على
 الارض (محمد نشأت: ت2) - ما اعيش حياتي (رضا: ت2) ، - الدنيا
 تتهد (ياسمين: ت2) - دي تبقى كارثة (ياسمين: ت2) ، - ما أبدأش
 حياتي (سحر: ت2) - ضعت (سحر: ت2) - جا أرجع لورا (سحر: ت2) - ما
 أتقدمتش (سحر: ت2) ، - أهد كل اللي بينته (سحر: ت2) - ما افقش على
 رجليا (رضا: ت2) ، - ما اشتغلش تاني (رضا: ت2) - أضيع (دينا: ت2) ، -
 أروح في داهيه (دينا: ت2) - أظلم نفسي (دينا: ت2) ، - أكذب (عبد المجيد:
 ت2) - أضايق (عبد المجيد: ت2) ، - ما أكلمش (عبد المجيد: ت2) -
 أضايق (عبد المجيد: ت2) ، - ما أتغريش (عبد المجيد: ت2) - ما أعملش حاجات
 كتير (عبد المجيد: ت2) ، - ما أتكلمش (عبد المجيد: ت2) - أخسر حاجات
 كتير (عبد المجيد: ت2) ، - يسجنوني (يحيى: ت2) - يكفروني (يحيى: ت2) ،
 - أروح في 60 داهيه (يحيى: ت2)

القراءة:

نلاحظ هنا أن التوقف عن الفهم ترتب عليه خوف من الفراغ، ومن فقد التحكم، ومن
 الوعى بالمشوار الطويل، ومن العزوف (الفاهم) عن الشعور بالآخر، ومن البعد عن
 الآخر ومن الموت، ومن انهيار كل شيء ومن وقوع كارثة، ومن التوقف عن الحياة،

ما دام عدم الفهم
 يقوم بوظيفة ما
 فد التعرف على
 داخلنا وخارجنا، ومن
 ضمنها أن يظهر لنا
 جانباً من جوانب
 نشاط الإدراك على
 مستوى معرفي
 أعمق، فإن النظر
 فد احتمال السماح
 بعدم الفهم يمكن
 أن يظهر لنا طبيعة
 الفهم

يمكن أن يكون
 تفكيراً جونا يقوم
 بوظيفته وفد نفس
 الوقت يسمح بنشاط
 آليات معرفية
 أخرى بجواره

ومن الضياع ومن التراجع (التدهور) ومن عدم التقدم ومن هدم ما تم بناؤه، ومن اهتزاز الموقف ومن التوقف عن العمل ومن الذهاب في داهية، ومن ظلم النفس ومن الكذب، والضيق والتوقف عن النمو والعمل وعن الكلام، ومن الجنون ومن التفكير

وعلى ذلك فيمكن تكرار التوصية لنظر إلى وظيفة الفهم هنا باعتباره:

أولاً: حماية موضوعية ضد المجهول

ثانياً: ميكانزم عقلنة إيجابية (أو سلبية)

ثالثاً: معوق للنمو إذا أفرط في استعماله

رابعاً: غير كاف لاستكمال النهل من المعرفة

المجموعة الثالثة:

الاستجابات محتملة الدلالات المتنوعة :

هي المجموعة التي لم أستطع الجزم بما تعنى الاستجابات فيها بشكل محدد، فاعتبرتها "مفترقة" يمكن أن ننتبين موقعها حسب تطور التفاعل في العلاج الجمعي أو غيره أو بالمتابعة ورصد التغيرات المحتملة واقعياً على مسيرة التعافى .

... يمكن ابقى واحد تانى (محمد نشأت: ت2) - ما ابقاش بنى ادم (محمد نشأت:

ت2)، - الدنيا تبقى صعب قوى (محمد نشأت: ت2) - ما كنتش جيت هنا (رضا:

ت2)، أموت (أحمد: ت1)، كسرت الدنيا دى (نصرة: ت1) - أخلص

عليك (هالة: ت1)، - الامور تتغير (محمد: ت2) - ما كانش حصل كل

ده (محمد: ت2)، - ما اجيش هنا (رضا: ت2) - ما اعرفش احبك (رضا:

ت2)، - أهرب زى دينا ما هريت (ياسمين: ت2) - ما اجيش هنا تانى (ياسمين: ت

2)، - ما أكونش أنا ياسمين (ياسمين: ت2) - ما أفهمش (سحر: ت

2)، - مش حا أقدر أطاوعك (سحر: ت2) - أنسى كل حاجه (سحر: ت2)، -

أتفاجأ فى الآخر (دينا: ت2) أندم (دينا: ت2)، أحزن (أحمد: ت2)، - ماجيش

هنا (أحمد: ت2) - أتعب (أحمد: ت2)، - ما أتعيش (أحمد: ت2) - أشك فى

نفسى (عبد المجيد: ت2)، ما عرفكش (يحيى: ت2)

القراءة:

فى هذه المجموعة وجدت استجابات لم أستطع أن أحسم إن كانت تتسمك بالفهم كميكانزم أم أنها منتهزة فرصة عدم الفهم لإطلاق ما لا يمكن معرفة طبيعته إلا بتتبع مساره ومن ذلك: قال أحدهم "يمكن أموت" لم أستطع أن أحسم الموقف هل هو يعنى أن الفهم هو الذى يحافظ على حياته وبالتالي فهو يرفض التخلى عنه أو أن الفهم هو عائق

هل المقصود هو أن
الفهم يحوق التغيير
الذك هو أساس
العلاج الجمعي؟ أم
أنه يمكن صاحبه
ضد التغيير
العشوائى؟

له يمنعه من التخلص من قشرة الحياة التي تبدو وكأنها حياة، وكذلك "كسرت الدنيا" أو "أخلص عليك" لا يمكن الحكم هل المقصود هو تكسير الدنيا للثورة على الفهم الجامد أو الزائف أم للتخطيم العشوائي؟ ثم من هو الذى حين سيسمح له عدم الفهم العشوائية أن "يخلص عليه"؟ هل هذا يعنى إطلاق العدوان التحطيمى أم الاقتراب المغامر لكسر جمود العلاقة، وحين نصل إلى أن عدم الفهم (الفهم الآخر) سوف يسمح بالتغيير (يمكن الأمور تتغير، أو أبقي واحد تانى أو حتى ما بقاش بنى آدم)، هل المقصود هو أن الفهم يعوق التغيير الذى هو أساسى العلاج الجمعى؟ أم أنه يحمى صاحبه ضد التغيير العشوائي؟، وحين يعلن البعض أن السماح بعدم الفهم سيجعله لا يحضر ثانية، أو أنه كان سيجميه من أن يحضر (بعض الجلسات العلاجية) هل هذا يعنى اكتشاف أن التغيير مؤلم ومسئولية مربوطة بالفهم حسب التعاقد العلاجي؟ أم أنه سوف يسهل له الانسحاب؟ ثم ما المقصود بأن عدم الفهم يجعل مشاركا لا يفهم، هل يعنى أن الفهم لديه هو الوسيلة الأهم للتفاعل، أم أنها فرصة لفتح قنوات أخرى؟ "يمكن ما افهمشى" وأخيرا عن تغير الذات "ماكونشى أنا ياسمين" هل هو تغير النمو المحتمل أم فقد الهوية؟ ثم "رفض الطاعة"، هل هو ثورة أو خُلف؟ وعن المفاجأة هل هى تنشيط الدهشة أم رعب البصيرة المفاجئة؟

.....
.....

لكل ذلك تركت هذه المجموعة باحتمالاتها لما يتبين من آثار التجربة دون حسم كما ذكرت.

ويعد

أشعر أن من واجبي أن اعتذر جادا لمن لم يستطع أن يتابعنا، وأن أرجوه فى نفس الوقت أن يبذل جهدا أكبر ليصل بنفسه إلى ما يريد، مكتفيا بأن أطلب من أى معترض أن يسمح لنفسه ولنا أن يلعب نفس اللعبة أو ربما يسمح لى أن اقترح لعبة تساعد ولو على سبيل المزاح ربما تساعد فى إعادة القراءة مثل:

".... ياه!!! يبدو أن هناك احتمال آخر ربما يكون" أكمل من فضلك

أو لعبة أخرى تقول:

".... يستحيل أن أوصل متابعة هذا الكلام الفارغ أنا راضى بما هو ..." أكمل من

فضلك

شكرا

ما المقصود بأن
عدم الفهم يجعل
مشاركاً لا يفهم، هل
يعنى أن الفهم
لديه هو الوسيلة
الأهم للتفاعل، أم
أنها فرصة لفتح
قنوات أخرى؟